الباب الخامس

انحراف الاحداث

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الثانى عشر

انحراف الأحداث

من هو الحدث المنحرف ؟

يكتشف المدقق فى البحوث التى تتناول مشكلة الأحداث المنحرفين عدة اتجاهات جديدة فى النظر إلى هذه المشكلة عبرت ميول Merrill عنها باقتباس من تاولى قدمت به الفصل الأول فى كتابها وهذا الاقتباس هو :

« كنا نقول البارحة أن هذا لص ، ونحن نعرف ماذا نفعل باللصوص : أما اليوم فنقول ، هذا إنسان يسرق ونحن نحاول أن نعرف لماذا يسرق» .

ويميل علماء النفس إلى النظر إلى انحراف الأحداث على أنه سلوك يعتبر عرضا يدل على عدم التكيف ، وأنه سلوك وظيفى ، بمعنى أنه يشبع حاجات المنحرف . غير أن المؤتمر الثانى للوقاية من الجريمة الذى عقدته الأمم المتحدة فى لندن ١٩٦٠ يعترض على هذا التعريف . إذ جاء فى التقرير أنه فى كثير من الدول يتسع معنى انحراف الأحداث ليشمل عمليا كل مظاهر سلوك الأحداث . لهذا نجد أن عدم الطاعة والعناد ، والمروق ، وعدم احترام الكبار ، والتدخين دون إذن ، وجمع أعقاب السجاير ، والتسكع فى الطرقات وما شابه تدخل ضمن انحراف الأحداث . وغالبا - وهذا أمر غير مرغوب فيه - يضم هؤلاء الخارقون للقانون مع المنحرفين الحقيقيين فى صعيد واحد ، وليس ذلك لمجرد عدم وجود الخدمات والمؤسسات لهم ، ولكن أيضا لأنهم يعتبرون «غير متوافقين» كالمنحرفين وذلك طبقا لبعض

. ياسات والممارسات السائدة ، ومن ثم يوضعون فى مؤسسات واحدة . ويقول التقرير ان عدم التكيف أو عدم التوافق والانحراف مصطلحان لا يعنيان شيئا واحداً لهذا يجب اعتبار الأحداث المنحرفين فئة تمثل من الناحية الاجتماعية مشكلة منفصلة تختلف عن مشاكل الصغار الذين يحتاجون مساعدة للوقاية بتقديم الخدمات الاجتماعية أو الصحية أو العقلية لهم . فأفراد الفئتين من الأحداث يحتاجون للمساعدة والعلاج لأنهم يحتاجون للمساعدة فعلا ويقترح التقرير أن يقتصر مصطلح انحراف الأحداث على أولئك الصغار الذين يرتكبون جرائم جنائية . لهذا يجب ألا تشمل التعاريف القانونية الأفعال التى وإن كانت غير مرغوبة إلا أنها ليست جنائية . وانتهى المؤتمر إلا أن المقصود بانحراف الأحداث القيام بفعل إذا ما اقترفه شخص بالغ يعتبر جريمة (ص ٥١ - ٥٢) . ويبدو أن المؤتمر يميل إلى اتخاذ التعريف القانونى أساسا للانحراف وهو لا يطابق التعريف العلمى .

ويفرق القانون عندنا فى مصر فعلا بين الحدث المنحرف والحدث المشرد . إذ يعرف الأحداث المنحرفون طبقا للقانون رقم ١٢٤ لسنة ١٩٤٩ بأنهم الذين يرتكبون جريمة من الجرائم الواردة فى قانون العقوبات ، وقد قسم القانون مراحل العمر إلى أربع مراحل مختلفة ، تبدأ المرحلة الأولى من الميلاد إلى سن سبع سنوات . ففى هذه المرحلة لا يعد الحدث فيها مسئولا جنائيا ولا تقام عليه الدعوى العمومية . أما المرحلة الثانية فتبدأ من سبع سنوات إلى ١٢ سنة كاملة ، وفى هذه الحالة لا يحكم على الصغير بأية عقوبة من العقوبات الواردة فى قانون العقوبات ، ولكن يأمر القاضى إذا ارتكب الصغير جريمة إما بتسليمه لوالديه أو لمن له حق الولاية على نفسه أو بارساله إلى مدرسة إصلاحية أو محل آخر معين من قبل المحكمة . أما المرحلة الثالثة وهى تبدأ من ١٢ سنة إلى ١٥ سنة ميلادية

كاملة وفيها يجوز الحكم على الصغير ببعض العقوبات الأصلية مثل السجن أو الحبس مع الزام القاضى بتخفيض العقوبة ، أو أن يحكم عليه بتدبير التدابير التقويمية المقررة للأحداث وهى التسليم للوالدين أو الايداع فى مؤسسة إصلاحية .

أما الشخص الذى تزيد عمره عن ١٥ سنة كاملة وتقل عن ١٧ فهو يخضع بجميع أحكام قانون العقوبات ، ولكن فقط لا يحكم عليه بالإعدام أو بالأشغال الشاقة المؤبدة أو المؤقتة .

ولذلك يرى البعض أن الحدث ـ وفقا لأحكام قانون العقوبات هو من تقل عمره عن ١٢ سنة لأنه فى هذه الحالة لا يجوز الحكم عليه إلا بتدبير تقويمى .

بينما يرى آخرون أنه الشخص الذى يقل عمره عن ١٥ سنة ، وأنه يجوز للقاضى الحكم على من تزيد عمره عن ١٢ سنة وتقل عن ١٥ بتدبير تقويمى بدلا من العقوبات العادية .

والرأى عندنا أن المجرم الحدث هو من تزيد عمره عن ٧ سنوات وتقل عن ١٢ سنة كاملة لأن من يتعدى هذه السن يجوز الحكم عليه بعقوبة عادية ، الأمر الذى يفهم منه أن المشرع جعل هذه السن حداً فاصلا بين المسئولية الجنائية وعدمها .

ويعرف القانون الحدث المشرد بأنه الحدث سواء كان ذكراً أو أنثى والذى لم يبلغ سنه ثمانى عشرة سنة ميلادية كاملة إذا وجد فى حالة أو أكثر من الحالات الآتية :

أ ـ إذا وجد متسولا ، ويعتبر من أعمال التسول عرض سلع تافهة أو القيام بألعاب بهلوانية .

ب ـ إذا مارس جمع أعقاب السجاير أو غيرها من الفضلات أو المهملات .

ج ـ إذا قام بأعمال تتصل بالدعارة أو الفسق أو فساد الأخلاق أو القمار أو خدمة من يقومون بهذه الأعمال .

د ـ إذا خالط المشردين أو المشتبه فيهم أو الذين اشتهر عنهم سوء السيرة.

هـ ـ إذا كان سيء السلوك ومارقا من سلطة أبيه أو وليه أو وصيه أو أمه إذا كان الولي متوفى أو غائبا أو عديم الأهلية .

و ـ إذا لم يكن له محل إقامة مستقر أو كان يبيت عادة فى الطرقات .

ز ـ إذا لم يكن له وسيلة مشروعة للتعيش ولا عائل مؤتمن وكان أبواه متوفيين أو مسجونين أو غائبين .

ويلاحظ أنه لا يوجد حد أدنى للسن التى يبدأ معها اتخاذ التدابير المقررة ازاء التشرد لأن المقام هنا ليس مقام عقاب بل هو العمل على الأخذ بيد الحدث المشرد . ولذلك فان الحدث المشرد يبدأ من الميلاد حتى بلوغ ١٨ سنة كاملة بخلاف الحدث المنحرف الذى يبدأ اتخاذ الإجراءات معه بعد بلوغه سبع سنوات » *.

غير أننا وللأسف نجمع الصنفين فى مؤسسات واحدة . ويعتقد كثير من العاملين فى هذه المؤسسات أنه لا يوجد فرق بين الاثنين من ناحية الانحراف . ففى رأيهم أنه وان كان لم يقبض على المشرد فى جريمة من جرائم الأحداث الا أن المدقق فى تاريخ حياته يجد سجلا حافلا من الانحراف الذى لا يفرقه عن المنحرفين. ولا توجد دراسة فى مصر لتقارن بين مجموعتين من المنحرفين والمشردين فى تاريخ الحياة لتبين مدى صحة هذا الرأى .

---

* أخذ الدكتور أحمد الألفى الخبير بالمركز المؤلف بهذا التعريف .

لقد قامت وحـــدة البحوث النفسية والتربوية * بالمركز بمقارنة مجموعة من المنحرفين ومجموعة من المشردين ومجموعة من الأسوياء على اختبار اليد . وهـــذا الاختبار يتكون من تسع صور لليد فى أوضاع مختلفة - وبطاقة بيضاء . يطلب من المفحوص أن يذكر ماذا يعتقد أن صاحب هذه اليد يفعل. وتصنف الاستجابات إلى استجابات عدوانية وتشمل استجابات العدوان والتسيير ، واستجابات تعاونية ويدخل فيها استجابات تشير إلى الخـــوف ، والتودد ، والاتصال ، والتواكل . تجمع درجات الاستجابات العدوانية ويطرح منها درجات الاستجابات التعاونية فيدل الفرق على استعداد الفرد للتنفيس عن العدوان بالتنفيذ . طبق هذا الاختبار فى أمريكا ، على المنحرفين والأسوياء وعلى فئات أخرى تتصف بالعدوان فوجد أن هذا الاختبار يبين فعلا مدى استعداد من لديه العدوان للتعبير عنه بالتنفيذ .

طبق هـــذا الاختبار على العينات الثلاث المصرية لبيان ما إذا كان المشردين يماثلون المنحرفين فى نزعاتهم العدوانية . وكنا قد افترضنا أنهم يختلفون عنهم وأنهم يقتربون من السويين ولم تبين الدراسة صحة هذا الفرض . إذ وجد أن المشردين لا يفترقون عن المنحرفين فى نزعاتهم الاعتدائية . فهل هـــذا يعود إلى ما يقوله العاملون معهم من ناحية السجل الاجرامى ، أم أنها الحياة مع المنحرفين فى مؤسسة واحدة ؟ أو أن التشرد يعزى لأسباب تخلق النزعات العدوانية التى يعبر عنها بالتشرد لا الجـــريمة . فمع تشابه المنحرفين والمشردين فى النزعات العدوانية فمن الجائز أن هذه النزعات تعبر عن نفسها عند البعض بالجريمة بينما تعبر عن نفسها عند البعض الآخر بالتشرد .

---

* سعد جلال ، محمود عبد القادر ، محمد رشاد كفافى : استجابات الأحـــداث المنحرفين والمشردين والأسوياء على اختبار اليد — المجلة الاجتماعية القومية — المجلد الثالث العدد الثانى — مايو ١٩٦٦ .

على أى حال لاتطبق على الأحداث فى أى دولة من الدول المتحضرة نفس القوانين التى تطبق على المجرمين ، إلا أن هـذه الدول تختلف فيما بينهـا فى تحديد السن التى تفرق بين الحدث والكبار . إذ تحدد هذه السن فى بعض الدول بالثانية عشرة أو الخامسة عشرة أو الثامنة عشرة . إلا أن الاتجاه يميل إلى اعتبار الواحدة والعشرين حدا أقصى لمن يمكن أن ينطبق عليه قانون الأحداث .

أسباب انحراف الأحداث :

إن النظريات التى تفسر الجريمة التى استعرضنا الكثير منهـا فى الفصـل السابق قام معظمها على فئات من الأحداث المنحرفين . فالتحضر ، ومناطق الانحراف ، والعصابة المرجعية ، والرفقة المتمايزة ، والدور ، والصراع الطبقى ، والمركـز ، وضعف الانا ، وضعف الانا الأعلى وما اليهـا حاولت تفسير سلوك الأحداث المنحرفين . ومهما اختلفت النظريات التى تفسر سلوك الجانحين فان العلماء يتفقون على بعض العوامل التى تتصل بطريق مباشر أو غـــير مباشر بأسباب الانحراف نلخصها فيما يلى .

١ — إن نسبة كبيرة من الأحداث المنحرفين تعانى من اضطراب الشخصية والتوتر ، النفسى والصراع ، والعادات السيئة .

٢ — إن نسبة كبيرة من المجرمين البـالغين كانوا يعـانون من اضطرابات نفسية وكانوا فى حداثتهم من المنحرفين .

٣ - ليس الضعف العقلى عاملا فعالا فى انحراف الأحداث .

٤ — إن نسبة كبيرة من الأحداث المنحرفـــين تأتى من بيوت هدمتها

الخلافات الزوجية ، أو الموت ، أو عدم صلاحية الوالدين .

٥ - تتسم معاملة الآباء للاحداث المنحرفين بالقسوة والتذبذب والاهمال .

٦ - يتحول أبناء الآباء السلبيين إلى الجريمة لتأكيد ذكورتهم .

٧ - إن نسبة كبيرة من الاحداث المنحرفين لم تستطع الاستمرار فى التعليم وتركت المدارس فى سن مبكرة .

٨ - إن نسبة كبيرة منهم تأتى من بيئات ومن أحياء ينتشر فيها الفقر والدعارة وتجارة المخدرات والاجرام ومظاهر الانحلال المختلفة .

وإذا كنا قد استعرضنا فى الفصل السابق النظريات المختلفة التى تفسر السلوك المنحرف عموما فاننا سنتعرض فيما يلى لبعض العوامل النفسية التى تتصل بجناح الاحداث ولم يرد ذكرها فى الفصل السابق .

١ - الذكاء وانحراف الاحداث :

لقد كانت هناك محاولات عديدة مستمرة لتحديد علاقة انحراف الاحداث بالذكاء . وقد سبق لنا أن ذكرنا أن جودارد فى دراسته لعائلة الكاليكاك كان يعزو الانحراف إلى الضعف العقلى الوراثى .

لقد بينت بعض الدراسات أن المنحرفين يفترقون فى متوسط ذكائهم عن العاديين فرقا واضحا ، إلا أن هذه الدراسات قد طعنت فى أن اختبارات الذكاء التى استعملت فيها لم تكن بالدقة التى عليها اختبارات الذكاء الآن ، كما طعنت فى أن عينات الاطفال التى أجريت عليها الدراسة لم تتحقق فيها الشروط الاحصائية اللازمة ، إذ لم تكن تمثل المنحرفين تمثيلا دقيقا ، وتبين الدراسات من هذا النوع مثل دراسة ميرل التى قارنت ذكاء ٥٠٠ حدث منحرف بمتوسط

ذكاء ٢٩٠٤ طفلا يمثلون عينة عشوائية ، فكان متوسط ذكاء المنحرفين ٩٢ر٥ ، وكان متوسط ذكاء المجموعة العشوائية ١٠١ر٨ . تبين هذه الدراسات أن المنحرفين يقلون فعلا فى مستوى ذكائهم وفى المتوسط عن العاديين ، إلا أن متوسط ذكائهم لايتعدى أو ينقص عن مستوى الذكاء العادى المصطلح عليه وهو مابين ٩٠ ، ١١٠ ، وقد استخدمت ميرل اختبار ستانفورد بينيه فى قياس الذكاء فى دراستها ، ومن المعروف أن هذا الإختبار يتأثر إلى حد كبير بالقدرة اللغوية .

وفى دراسة جلوك وجلوك ثم استخدام اختبار وكسلر بلفيو لقياس الذكاء ، وهو يتكون من جزئين أحدهما لغوى والآخر أدائى . فورن متوسط ذكاء ٥٠٠ حدث منحرف بمتوسط ذكاء عدد مماثل من غير المنحرفين ، فكان متوسط ذكاء المنحرفين أقل من متوسط ذكاء غير المنحرفين فى الجزء اللغوى من الاختبار بينما تشابه الفريقان فى الجزء الأدائى وكانت أهم الاختبارات اللغوية التى ميزت بين الفريقين فى الجزء اللغوى اختبار المفردات ، والمعلومات ، والفهم . فقد برز فيها غير المنحرفين بينما تشابهت المجموعتان فى اختبار التشابه ، والتعليل الحسابى والقدرة على تذكر الارقام . إلا أنه يجب أن نلاحظ أن الاختبار اللغوى يتأثر بالتحصيل المدرسى ، وفى هذه الدراسة بالذات كان المحصول المدرسى للمنحرفين أقل بكثير من محصول غير المنحرفين . وعلى الرغم من تشابه الفئتين فى الاختبار الأدائى وجد أن المنحرفين كانوا أقل قدرة من الآخرين على اختبار الترميز مع أنهم تفوقوا قليلا فى اختبار تصميم الأشكال بالمكعبات ، واختبار جمع الأشكال ، وتشابه الفريقان فى أدائها لاختبار اكمال الصور واختبار ترتيب الصور .

ويبدو أن الاختلاف بين الفريقين فى اختبار كاختبار الترميز الذى كان أداء المنحرفين فيه أقل من العاديين يعزى إلى أن الاختبار يتطلب القدرة على تركيز

الانتباه والمثابرة على بذل الجهد . وهذه هى الصفات التى يفتقر اليها المنحرفون . أما تفوقهم على اختبارى تصميم الأشكال بالمكعبات وجمع الأشكال فقد يدل على تفوقهم فى القدرة الحركية . كما تدل هذه النتائج كلها على تفوق الجانحين فى القدرات العقلية التى تتطلب الاتصال الحسى المباشر بالأشياء وعدم الاعتماد على الرموز العرفية كاللغة والتفكير المجرد الذى يتفوق فيه العاديون .

وفى دراسة ماكورد وماكورد فى اعادة تقويم دراسة كمبردج ـ سومرفيل وجد أن الذكاء لايمت بصلة إلى أسباب الانحراف على الرغم من أن بعض ذوى الذكاء المرتفع قد سمح لهم ذكاؤهم بعدم الوقوع فى أيدى البوليس ، غير أنها وجدا أن أولئك الذين كانوا يقترفون جرائم ضد الممتلكات كانوا غالبا من ذوى الذكاء المتوسط .

ومن الاعتراضات على نتائج البحوث التى قورن فيها ذكاء الجانحين بالعاديين أننا عادة لانقع إلا على الجانحين من ذوى العقلية المحدودة ، لأن الأذكياء منهم يساعدهم ذكاؤهم كما بينت دراسة ماكورد وماكورد على الافلات من قبضة العدالة . كما أن أى مجموعة من الجانحين يتوزعون عادة حسب ذكائهم فى منحنى اعتدالى جرسى لايفترق فى شكله عن توزيع العاديين ، أى أنه يوجد بينهم الأذكياء والمتوسطون والأغبياء .

وقد كانت هناك محاولات عدة لربط مستويات الذكاء بأنواع الجرائم . وقد حاولت ميرل تبويب ٥٠٠ جريمة تبعا لمستوى ذكاء مرتكبيها لتحقق ما إذا كان المزورون أذكى من غيرهم من الجانحين ، ومرتكبوا الجرائم الجنسية أقل ذكاء من عداهم ولكن لم تدل النتائج التى توصلت اليها عن وجود أى

علاقة بين نوع الجريمة ومستوى الذكاء . وفى نتائج الدراسات الأخرى حول هذا الموضوع كثير من التناقض ، كما أنها ليست حاسمة .

التحصيل المدرسى والانحراف :

تدل معظم الدراسات وخاصة ما قام به آش ، وجلوك وجلوك وغيرهم على أن المنحرفين متأخرون فى مستوى تحصيلهم عن العاديين ، كما أنه اذا طبقت عليهم اختبارات التحصيل المقننة دلت نتائجها على أن الجانحين قد وضعوا فى فرق دراسية أعلى من مستوى تحصيلهم لانتقالهم آليا من فرقة إلى أخرى .

ويصعب علينا فى مصر أن نحدد المستوى التحصيلى المدرسى للجانحين لأن غالبية من وقع فى أيدى العدالة من الجانحين ليسوا من أبناء المدارس ، ولايخفى علينا أن الجانحين من هؤلاء اما أن يتستر عليهم ذووهم من ذوى المراكز خشية العار ، وإما أن يعاملهم البوليس معاملة خاصة على أنهم من الطبقة المتعلمة .

الأمراض النفسية والعقلية وانحراف الأحداث :

يميل بعض علمـــاء النفس وأطباء الأمراض العقلية إلى تقسيم المنحرفين إلى فئتين ، فئة تضم المنحرفين ممن يعزى انحرافهم إلى أمراض نفسية وأمراض عقلية ، وفئة أخرى ليست مريضة بأى من هذه الأمراض ويعـزى انحرافها فى رأيهم إلى الأسباب الاجتماعية . نسوق على سبيل المثال دراسة تيرانس موريس فى انجلترا . وهى وإن كانت أصلا قائمة على دراسة مناطق الانحراف ، نجد أنه يذكر تعليقـا على نتائج دراسته أنه يوجـد فى كل فئة مهنية من الفئات التى قام بدراستها نواة ، للانحراف السيكوباثى ، الذى يعـزى إلى اضطرابات انفعالية فى الأسرة ، أو مرض عقلى يعزى اليه انحراف ما يقرب من ١/٥ الحالات أو ربعها . أما البقية

الباقية فمن الممكن أن يعزى جناحها إلى العوامل الثقافية ويمكن أن نسمى ذلك « الجناح الاجتماعى » .

وفى سنة ١٩٤٨ قام هاثاواى وموناكيزى بتطبيق اختبار مينسوتا المتعدد الأوجه الذى سنتكلم عنه عند تناولنا للتنبؤ بالانحراف ، ويكفى أن نذكر هنا أنه أداة اكلينيكية لتشخيص الأمراض النفسية والعقلية ـ بتطبيق الاختبار على تلاميذ السنة التاسعة فى ست عشرة مدرسة فى مدينة كبيرة فى ولاية مينسوتا وفى مدرسة واحدة فى مدينة صغيرة (تعادل السنة التاسعة السنة الثالثة الاعدادية فى التعليم المصرى) . وبعد سنتين من التطبيق أى فى سنة ١٩٥٠ قاما بفحص سجلات محاكم الأحداث وأقسام البوليس فى المدينتين للتعرف على من انحرف من التلاميذ الذين طبقوا عليهم الاختبار . لقد كان عدد التلاميذ المسجلين فى السنة التاسعة ٤٥٧٢ طبق الاختبار على نسبة ٩٨ ٪ منهم . وأجرى التحليل لعدد ٤٠٤٨ سجلا من سجلات الاختبار منها ١٩٩٧ سجلا للبنين و ٢٠٥١ للبنات . وكان السن الأوسط للتلاميذ ١٧ سنة حين بدىء تتبع الحالات المنحرفة . واليك أهم نتائج هذه الدراسة:

١ ـ تبين أن نسبة ٢٢ ٪ من الأولاد قد انحرفت فى مقابل ٨ ٪ من البنات إذ كان لهؤلاء سجلات إما فى البوليس أو فى محاكم الأحداث .

٢ ـ بينت النتائج دون أدنى شك أن أنماط الأعراض التى توجد عادة لدى البالغين المرضى بأمراض عقلية أو نفسية تسود بين المنحرفين .

٣ ـ وجد أن بعض أنماط تكيف الشخصية لدى البالغين يقل تكرارها بين الأحداث المنحرفين ، وهذا يتفق مع التسليم بأن الاختبار يقيس درجة عدم تكيف الكبار .

٤ ـ وجد أن هناك من بين المنحرفين نسبة كبيرة لا يبين الاختبار

أن لديهم أى أنماط سلوكية تماثل بينهم وبين المرضى بأمراض عقلية أو نفسية .

وانتهى الباحثان إلى أن الاختبار يكشف عن فئتين من المنحرفين فئة منها يعزى انحرافها الى أمراض نفسية أو عقلية تشبه تلك التى يعانى منها الكبار ، وفئة يبدو أنها خالية من هذه الأمراض وقد يعزى انحرافها الى أسباب اجتماعية .

قام مؤلف هذا الكتاب فى رسالته للحصول على الدكتوراه بتطبيق هذا الاختبار على مجموعة من المنحرفين ثم قسم المجموعة الى فئتين طبقا لنتائج ومعايير هاثاواى ومونا كينزى : فئة افترض فيها المرض وفئة أخرى مريضة لبيان مدى صحة نتائج هذا الاختبار ، والكشف عما اذا كانت العوامل البيئية الاجتماعية هى السبب فى انحراف الفئة الثانية دون الفئة الأولى .

قورن أفراد المجموعتين فى الذكاء ، والتحصيل المدرسى ، والمستوى الاجتماعى الاقتصادى للأسرة ، وترابط الأسرة وتهدمه ، ومعاملة الآباء ، والفحص الطبى النفسى . فلم تبين الدراسة أى فروق ذات دلالة بين الفئتين .

وكان هاثاواى ومونا كينزى قد اختـــارا مجموعة سوية عددها ٢٠٠ فردا لاستخراج بياناتهم عن الأسوياء . قورنت المجموعتان المنحرفتان مع هذه المجموعة وكان الفرض المراد تحقيقه هو اختلاف المنحرفين الذين افترض مرضهم عن الأسوياء ، وعدم اختلاف المنحرفين فى الفئة الثانية عنهم . لقد ثبت صحة هذا الفرض فيما يختص بالمجموعة الأولى ، ولم يثبت فيما يختص بالمجموعة الثانية إذ كانت درجاتها أعلى من درجات الأسوياء فيما عدا مقياس الذكورة والأنوثة الذى تساوت فيه درجات هذه المجموعة مع درجات الأسوياء . وإذا كانت هذه الدراسة لم تبين أى فروق لها دلالتها بين الفئتين فى العوامل الاجتماعية ، فقد أثبتت أنه إذا صح أن احداهما مريضة بالأمراض العقلية والثانية خالية من هذه الأمراض فان الفئتين تتساويان

فى عدم التكيف . كما أنه من الصعب أن نعزو انحراف بعض الجانحين إلى العوامل الاجتماعية وأن نعزو انحراف فئة أخرى إلى المرض العقلى لأننا نعرف أن العوامل التى تؤدى إلى كثير من الأمراض العقلية والنفسية هى نفسها العوامل التى قد تؤدى إلى انحراف بعض الافراد . وقد يكون هذا هو السبب فى عدم وجود فروق لها دلالتها بين الفئتين فى العوامل الاجتماعية . ومما يؤكد النتائج التى توصلنا اليه بحث قامت به جاندرى على احدى وعشرين فتاة حولن من إحدى مؤسسات المنحرفات إلى مستشفى من مستشفيات الامراض العقلية . فوجدت إنه وان كان من الصعب تقرير ما إذا كن مريضات بمرض عقلى أو نفسى فهن منحرفات فى السلوك ، وكان التشخيص لحالاتهن هو أنه بالرغم من أن الفتيات قد يكن خاليات من الامراض العقلية إلا انهن يحتجن إلى العلاج النفسى حتى يتمكن من العودة إلى المجتمع ثانية .

لقد سبق لنا أن ذكرنا فى عرضنا الأمراض العقلية والجريمة أن انحراف نسبة ضئيلة من الاحداث قد يعزى إلى الامراض العصابية النفسية . إذ توضع بذور العصاب النفسى طبقا لرأى المدرسة الفرويدية التحليلية فى الطفولة ، ولاتظهر الاعراض حتى سن المراهقة . كما أن المريض بالعصاب النفسى يعانى من القمع والكبت ، وهاتان العمليتان تحولان عادة بين المريض وبين التعبير عن دوافعه المضادة للمجتمع ، ولولا ذلك لانحرف المريض فعلا فى سلوكه . وهناك من الأدلة على نزعات الحزن والانقباض والانطوائية وخنوثة الميول - وكلها تدخل ضمن أعراض العصاب النفسى - وتحول دون ارتكاب ما يؤدى الى الوقوع تحت طائلة القانون ونقد المجتمع . ومع ذلك فهناك من بين الاحداث المنحرفين من يعانى من الامراض العصابية النفسية للأسباب التى سبق أن ذكرناها وذلك للرغبة اللا شعورية فى العقاب والنزعة الاعتدائية وغيرهما من الانفعال والافكار

الاستحواذية التى تقوم على دوافع لا شعورية قد تؤدى بالفرد الى الانحراف والجنوح .

أما الامراض العقلية فمعروف أن الجنون الدورى نادراً حدوثه قبل سن الثامنة عشرة . ونفتقر حاليا الى المعلومات الصحيحة والاحصائيات الدقيقة عن نسبة الأمراض العقلية الأخرى بين الاحداث المنحرفين . ويتردد أطباء الامراض العقلية والاخصائيون النفسيون فى وصم الحدث بمرض من الامراض المعروفه ويفضلون تشخيص الحالة على أنها مجرد نمط من أنماط السلوك المرضى بدلا من تسميتها بالفصام أو جنون الاضطهاد أو ما شابه ذلك .

ويرى البعض أن كثيرا من الاحداث الجانحين يعانى فعلا من مبادىء أعراض جنون الاضطهاد والفصام . وفى رأيى أن ما قد يظنه البعض عرضا لجنون الاضطهاد فى هؤلاء ان هو الا حساسية زائدة لنقد المجتمع لهم . وهؤلاء الاولاد معروفون لدى البوليس الذى يطاردهم فى كل مكان ، كما أنهم معروفون بانحرافهم فى جيرتهم بل وبين أفراد أسرتهم ، وهم بذلك فى موقف لا يحسدون عليه من حيث الرقابة الموضوعة عليهم . أما فيما يتعلق بأعراض جنون الفصام التى تبدو عليهم فقد يكون الباعث اليها عدم تفاعل هؤلاء الاحداث مع بيئاتهم الاجتماعية ، ونظرتهم المهوشة الى شعور الآخرين نحوهم ، تلك النظرة التى تنقصها الواقعية والتفكير السليم ، وليس هذا بغريب على المراهق ، اذ أن المراهق لا يستجيب عادة الى بيئته استجابة واقعية بل هى غالبا مهوشه بحكم مرحلة النمو التى يمر بها .

○

أما علاقة الانحراف بالسيكوباتية فسنفرد لها فصلا خاصا .

انماط الاحداث المنحرفين :

يميل بعض العلمـــاء إلى تقسيم الأحداث المنحرفين إلى أنماط يتميز كل نمط بخصائص تفرق بينه وبين النمط الآخر واليك نوعا من هذا التقسيم .

١ ـ حدث العصابة :

يسمى جينكنز وهيويت (١٩٤٦) الحدث من هذا النمط «بالمنحرف المطبع اجتماعيا» . وهو النوع السائد بين الأحداث المنحرفين الذى لا يقوم بنشاطه إلا ضمن جماعة من المنحرفين مثله . وهو فى العادة لا يحتمل الوحدة ، وعلى استعداد للقيام بأى عمل من أجل الجماعة التى ينتمى اليها ، إذ أن معايير الجماعة عنده أهم من أى معايير أخرى . لذلك كان هذا النوع من أصعب حالات الانحراف لحاجته الدائمة إلى الجماعة المنحرفة التى يصعب عزله منها . وتتخذ المعايير التاليـة لتحديد هذا النمط :

١ ـ الصداقة مع أمثاله من المنحرفين ممن لهم احتكاك برجال الأمن .
٢ ـ يتم نشاطه المنحرف أو الهرب مع جماعة من أمثاله .
٣ ـ له صلة بعصابات المنحرفين .
٤ ـ يقوم بدور ايجابى فى الجماعة المنحرفة .
٥ ـ يقوم بالسرقة مع الجماعة .
٦ ـ يتزين بالزى الذى يطبع المنحرفين ويتكلم بالطريقة التى يتكلمون بهـا .
٧ ـ يتردد على دور اللهو واحيائها .
٨ ـ قد يقوم بأى سرقة منفرداً .

مع ملاحظة أن هذه المعايير مستمدة من الثقـافة الغربيـة وقد لاتنطبق على الحدث المنحرف فى ثقافتنا .

٢ ـ الاعتدائى اللا اجتماعى :

يقابل المنحرف المطبع اجتماعياً الحدث الذى يسميه هيويت وجينكنز بالحدث الاعتدائى اللا اجتماعى . وتنطبق عليه الأوصاف التى سقناها فى عرض رأى ردل ووينمان عن الأحداث الاعتدائيين الممتلئين بالكراهية من ذوى الانا الضعيف .

والمعايير التى تتخذ لتحديد هذا النمط هى :

١ ـ العزلة عن الأصدقاء .

٢ ـ القيام بنشاطه منفرداً .

٣ ـ العجز عن الانتماء لأى جماعة .

٤ ـ لا يوجد له أصدقاء حميمون .

٥ ـ يتميز بالخجل والانسحاب .

٦ ـ غير محبوب بين أصدقائه .

٧ ـ لا يتصف بصفات القيادة بينهم .

٨ ـ قد لا يبدو للناظرين نشيطا .

يضيف واتنبرج (١٩٦١) إلى هذين النمطين ثلاثة أنماط هى المنحرف العرضى والمنحرف العصابى ، والنمط المختلط .

٣ ـ المنحرف العرضى :

ويرى واتنبرج أن هذا النمط ينحرف ويقبض عليه لارتكابه ما يخالف القانون نتيجة لسوء تقديره للموقف أو لمشاكل اعترضت طريق نموه السوى . أى أن الحدث يكون عادة سويا فى تكوينه النفسى غير أنه لم يقدر خطورة

ما قام به . ولعله قام بما قام به لأنه رأى كل من حوله يقومون بنفس الفعل ، أو لعله قام به لاعتقاده أن هذا عمل يدل على « الجدعة » . وتكون المخالفة التي يرتكبها مثل هذا المنحرف أحيانا خطيرة من ناحية نتائجها لا من ناحية القصد فيها . ويضرب واتنبرج مثلا على ذلك بمجموعة من الصبيان كانوا يلعبون بالثلج المتساقط بقذف كور منه على العربات التي تسير في طريق سريع . فانزعج أحد السائقين ففقد سيطرته على السيارة وأدى ذلك إلى اصطدام أربع سيارات وذهب بعض الركاب إلى المستشفى . لم يتوقع الصبية ذلك فامتلأوا رعبا ، وزاد الطين بله أنه تم القبض عليهم بالاضافة إلى وقع الحادث السيء على الآباء . ان مثل هؤلاء الأولاد ربما لا يعودون إلى فعلتهم ثانية أو إلى عمل مشابه .

والنوع الثاني من الانحراف المرضي قيام ولد بعمل وان كان يعتبر مخالفا للقانون غير أن أمثاله من الصغار يقومون به دون أن يكتشف أمرهم . وأحسن مثل على ذلك السلوك الجنسي للمراهق . إذ أن كثيرا من السلوك الجنسي الذي قد يتعارض مع القانون تتم ممارسته بين فئة الشباب .

ويحاول المراهق الاستقلال عن الأسرة والدخول في مجتمع الكبار . وقد يضطر في سعيه للاستقلال عن المنزل إلى القيام بأعمال ليثبت بها جرأته وشجاعته . وقد تكون مثل هذه الأعمال مما يعاقب عليها القانون . وان كانت من الناحية النفسية تعتبر سلوكا عاديا لمثل هذه السن .

٤ ـ الانحراف العصابي :

يشير واتنبرج إلى أن هناك حالات من الانحراف يكون الانحراف فيها نتيجة

لصراع يتم التعبير عنه بسلوك منحرف . والمنحرفون من هذا النمط من أبنـــاء الطبقات الممتازة اجتماعيا ولا يمكن أن يعزى انحرافهم إلى الأسباب الاجتماعيـة المعروفة كالفقر أو الجيرة السيئة . . الخ .

وهنا يمكن أن يقال أن الانحراف انما يعزى لعوامل لا شعورية . ويسوق واتنبرج أمثلة ثلاث على ذلك . المثل الأول حين يقوم ولد حسن السمعة والسلوك بسرقة يقبض عليه فيها فيعترف مما يثير هلع الوالدين ، غير أن الولد يحس بالراحة لاعترافه . فهو يسعى للعقوبة لشعوره بالذنب ، ويجد الباحث المدقق أنه قام بالسرقة مهيئا الظروف للقبض عليه وكأن العقوبة ترفع عن كاهله عبئا ليعود الى السلوك السوى الذى اشتهر به .

والمثل الثانى للشاب الذى قد يتشكك فى رجولته وقدرته الجنسية ، فيسعى إلى المغامرات الجنسية ليثبت رجولته ، أو للعراك ليثبت قوته أو ما إلى ذلك .

والمثل الثالث للمتعطش إلى الحب ، وحب الكبار للطفل يعنى اغداقهم عليه بالهدايا ، فاذا كان من بيئة حبهم لا يعطونه هذه الهدايا فليكررهم عليها بسرقتها منهم .

ومن الممكن أن نستطرد فى ضرب أمثلة لا تعد ولا تحصى لهذا النوع من الانحراف .

٥ ـ النمط المختلط :

ليس من السهل تصنيف السلوك المنحرف طبقا لأى نمط ، لأن الواقع يبين أن قليلا من الأفراد يمكن تحديد نمطهم بينما الغالبية قد ينطبق عليها أكثر من

نمط ، فقد يوجد بين نمط العصابة من نصف سلوكه بالاعتداء ، وقد يكون فى هذا النمط المنسحب المنزوى الذى يسعد بوصف ملائه له « بالمسطول » لهذا كان التقسيم إلى أنماط تقسيما مصطنعا لا يقصد منه سوى سهولة الدراسة، لأن السلوك المنحرف كما سبق أن بينا سلوك معقد تتداخل فيه عدة عوامل وتتفاعل ويصعب عزل هذه العوامل عن بعضها . ففى الطفل الواحد قد تلعب عوامل كالذكاء ، والتكوين الجسمانى ، والآباء ، والمدرسة ، والأصدقاء والجيرة دورها فى سلوكه ما يحتم دراسة كل حالة على حدة طبقا لظروفها ، وقد يساعد على هذا الفهم اشتراك أكثر من متخصص واحد لفهم سلوكه إذ قد يشترك فى ذلك الطبيب والطبيب النفسى ، والاخصائى الاجتماعى ومن اليهم فى دراسة حالته لفهم هذا السلوك .